كلمة أ.د/ نادية مصطفى(*)

منذ ثلاثة أسابيع نظم المركز ندوة "مناقشة التقرير الاستراتيجى العربى (٢٠٠٣)"، وكان المحور الأساسي فى التقرير يتناول الحرب الأمريكية على العراق. ولازال مسلسل هذه الحرب جاريًا ويسجل مقاومة عراقية فى وجه الاحتلال.

ومنذ أول أمس تجتاح إسرائيل رفح، فى خطوة أخرى من خطوات العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطينى لتصفية المقاومة الفلسطينية الباسلة، ومازالت هذه المقاومة مستمرة ولم تنقطع، ومنذ أسبوع احتفلت مصر بمرور ثلاثين عام على حرب أكتوبر، وها نحن نجتمع اليوم لتدبر الوضع الراهن بعد ثلاثين عامًا من هذه الحرب وشتان بين أن نحتفل بالحدث ذاته ونسترجع دقائق تفاصيله ومغزاها، وبين أن نتدبر مغزاه فى سياقه السابق و اللاحق عليه.

وهذا التدبر هو الذى نسعى إليه اليوم، ولعل مغزى مجىء نصر أكتوبر ٧٣ بعد ست سنوات هزيمة/ نكسة من يونيو ٦٧ هو أول معالم هذا التدبر ونتائجه و الذى يجب أن نضعه جليًا أمام أعيننا فالهزائم العسكرية التى واجهت مصر والأمة، وإن كانت من طبائع الأمور، إلا أنها ليست قدرًا محتومًا تستسلم له الأمة وتذعن وتنصاع له، فإن إرادة المقاومة هى سمة هذه الأمة، ودحض الظلم وطلب العدل هو صبغة هذه الأمة، وأيا كانت التحليلات التى اختلفت حول أهداف وغايات ونتائج شن حرب أكتوبر، فإن حرب أكتوبر– مع انطلاق أول رصاصة فيها– لتعنى أمرا واضحًا جليًا.

وهو أن الاستعداد للحرب بجدية وإيمان –كما حدث منذ هزيمة يونيو ٦٧– وعدم إسقاط خيار الحرب تمامًا لصالح سبل إدارة الصراع الأخرى، وخاصة الصراع مع عدو مثل إسرائيل، هذا الاستعداد للحرب بجدية وإيمان، لابد وأن يحقق أهدافه ويمحى الهزيمة ويستعيد الثقة والأمل.

ولذا، فإن كل محارب مدافع عن أرضه وعرضه ونفسه وماله وعقله ودينه،هو على الضرب الصحيح، ومهما كانت العوائق والصعوبات التى تواجهه فإن الإيمان بقضيته والعمل على ضوئها بكل الوسائل وعلى رأسها المقاومة المسلحة، لابد وأن يقود إلى النتائج.

هذا فيض من نور حرب أكتوبر، لقد كسرت فى لحظة استبدت بها الظلمة أسطورة

(*) د. نادية محمود مصطفى، د. باكينام الشرقاوي (محرران): ثلاثون عامًا على حرب أكتوبر: نظرة للأمام، مركز البحوث والدراسات السياسية، القاهرة ٢٠٠٤.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

إسرائيل التى لا تهزم ولذا، على ضوء هذا الفيض من نور حرب أكتوبر يجب أن نستعيد الأمل والثقة، ونحن نجتاز جميعًا هذه المرحلة الصعبة التى تمر بها الأمة العربية والإسلامية، تلك المرحلة التى تكالبت علينا فيها علامات الوهن والضعف والإحباط.

لهذا كله، يجب أن نحتفل بحرب أكتوبر رمضان، حقيقة نقول حرب ستة أكتوبر ولكنها حرب العاشر من رمضان أيضاُ.

إنها علامة مشرقة ومضيئة على جبين مصر قيادة وجيشًا وشعبًا.

وسنظل نحتفل بها مهما توالت بعدها –انتصارات سياسية أو عسكرية– ولعلنى أتوقف معكم لحظة، ماذا يعنى تاريخ ١٨ يونيو ١٩٥٤" عيد الجلاء"، تاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ "عيد النصر" هذان يومان كنا –ونحن صغار– نأخذهم إجازة ونحتفل بهما كأعياد وطنية مثلما يحدث الآن مع حرب أكتوبر، و عيد تحرير سيناء، فهل سيأتي يوم نكف فيه عن الاحتفال بهذا التاريخ ونحتفل بغيره، و لكنها تواريخ لا تزول ولا تنمحي فهى حلقات فى عقد واحد. ولكن من ناحية أخرى للعملة وجه آخر، فيقول قائل– وهم كثرى– ما مغزى الاحتفال بعد ٣٠ عامًا، وقد وصلت مصر والأمة العربية إلى ما وصلت إليه من مشاكل اقتصادية واجتماعية، دفعت الرئيس حسنى مبارك –خلال الاحتفالات بحرب أكتوبر– للتأكيد على أن ما تواجهه مصر من أزمات هو نتاج الزيادة السكانية.

كما وصلت مصر إلي تكاتف القيود على حركتها الخارجية ودورها الإقليمي سواء فى مواجهة احتلال العراق أو العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني، ما جدوى هذا الاحتفال بحرب، وهى لم تكن حرب مصر بمفردها ولكن حرب شاركت فيها سوريا، وشاركت فيها السعودية ودول نفطية أخرى بسلاحهم، أي كانت حرب أكتوبر هى حرب الأمة جميعها، إذن ما جدوى الاحتفال بحرب الأمة هذه، وقد آلت الأمة إلى ما آلت إليه بعد هذه الحرب: سواء على الصعيد السياسى، الاقتصادى، الاجتماعي؟

هذه الأسئلة تعقد جميعها العلاقة بين الحرب وما ترتب عليها من تطورات – وهذا شأن كل الحروب الكبرى فى التاريخ– وللإجابة على هذه الأسئلة يجب التدبر فى نتائج حرب أكتوبر، كيف تم توظيفها، وكيف جرى الاختلاف السياسى والفكري حول نمط هذا التوظيف ونتائجه، ليس على مصر فقط ولكن على الأمة العربية كلها.

ولقد قامت بهذه المهمة جهات بحثية عديدة فى العالمين العربى والغربي طوال العقود الثلاثة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

الماضية، ويأمل مركز البحوث والدراسات السياسية أن يكون هذا اللقاء فرصة لاستدعاء نتائج هذا التدبر المتراكم عبر ثلاثين عامًا، وأن يكون أيضًا فرصة للتدبر فى المآل القادم.

ومما لا شك فيه أن هيكل الندوة وموضوعاتها لا يترجم تمامًا الشبكة المتداخلة من القضايا التى يفرضها مثل هذا التدبر فى الخبرات السابقة والمآلات القادمة، ولكن موضوعات الندوة متنوعة وممثلة للقدر الذى تطيقه ندوة اليوم الواحد. فإن حرص المركز على الاقتراب من هذا الموضوع الهام هو تعبيراُ عن إيمانه بأن مالا يدرك كله، لا يترك كله ولذا- بإذن الله- سيتضمن الكتاب الذي سوف يحوي أعمال الندوة موضوعات -اعتذر أصحابها- قبل أسابيع من انعقاد الندوة- على تقديمها، بالإضافة إلى محاولة الإجابة على أسئلة هامة يجب أن نتصدى لها: كيف تطورت الاستراتيجية العسكرية المصرية بعد حرب أكتوبر؟

لماذا تم تبنى خيار السلام كخيار استراتيجي؟ وما معنى ذلك بالنسبة لخيار الحرب؟ ما أثر السياق الإقليمي والعالمي على فعالية ومصداقية هذا الخيار الاستراتيجى؟ هل كان يجب للتسوية السلمية أن تقود إلى هذا الخلل فى توازن القوى الاستراتيجى العربى -الإسرائيلي؟ هل إدارة الأوضاع الداخلية الاقتصادية والسياسية -سعيا نحو التنمية- كانت تفترض "السلام كخيار استراتيجي"؟ وهل الحرب مع إسرائيل منذ ٤٨ كانت المسئولة عن التراجع فى الاقتصاد المصري؟ ماذا تم منذ أن أضحت حرب أكتوبر آخر الحروب -كما قال الرئيس السادات؟ أين أبعاد القوة الرخوة لدينا؟ وأخيرًا هل خيار الحرب النظامية أضحى وهمًا فى مقابل أن أضحت ثقافة السلام هى الفضيلة التى يجب أن يتحلى بها الجنوب فقط فى حين أن قوى الهيمنة هى أحرص ما تكون على خيار الحرب؟ لا اعتقد أن يوما واحدا يكون قادراُ على تناول جميع هذه القضايا والإجابة على كل هذه الأسئلة، ولكن مثلت الندوة -فى نظرنا- وسيلة من وسائل التدبر.

أشكر: د. هبة رؤوف ود. باكينام الشرقاوى وفريق المركز لما بذله من وقت جهد فى الإعداد لهذه الندوة و خالص الشكر و التقدير للأساتذة المشاركين فى هذه الندوة لما بذلوه من جهد فى إعداد الأوراق البحثية المقدمة بالندوة، وشكري وتقديري الخاص للأستاذ الدكتور/ كمال المنوفي عميد الكلية ورئيس مجلس ادارة المركز على رعايته المستمرة لأنشطة المركز وخاصة مساندة سيادته للأفكار السريعة التى يقدمها المركز إضافة إلي الخطط طويلة الأجل وقصيرة الأجل لأنشطة المركز المختلفة، ونأمل أن تكون الندوة على مستوى توقعاتكم.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com